

الإصلاح الديني (*)

المقترح على مقام الخلافة الإسلامية

لا تقوم مصلحة عامة إلا برياسة ولا تسير رياسة في منهاج الصواب ما لم تكن مقيدة بقانون عادل . والدين مصلحة عامة ورئيسه في الاسلام بعد زمن النبوة الخليفة الذي يتولى أمور المسلمين فهو المطالب بحراسته الصورية والمعنوية، المسؤول بتعميم نشره في البرية، وقد بينا في مقالات (الخلافة والخلفاء) أن خلفاء المسلمين بعد الراشدين قصروا في حفظه فضلا عن نشره ، ولم ينتشر انتشاره السريع في أقطار الارض إلا بسهولة تمقل عقائده وبسر أحكامه ، وتأثير فضائله وآدابه، لا بصيانة الخلفاء، ولا سمي الملوك والامراء . أي خليفة أقام للدين دعاة تحت حمايته في بلاده أو في البلاد الأخرى إلا ما كان من دعاة الفتنة ورواد الاضلال على عهد العبيديين في مصر ؟ أي خليفة سعى في جمع كلمة المسلمين التي فرقها المذاهب ، ومزقها اختلاف المشارب ؟ كل ذلك لم يكن كما علمت من المقالات السابقة ولو كان لما وقف سير الاسلام ، أو تقلص ظل سلطته عن أحد من الأنام ، ولما أصيب فيضانه بالجزر أو يبلغ مده غاية حده . مارعوا الخلافة حق رعايتها بل صيروها ملكا عضوضا كما ورد في أعلام النبوة فساهت الحال ، وانتهت الى هذا المآل . وهذا لا يمنع من تدارك ما مضى وتلافي ما فرط فيه .

ولما كانت لمولانا المتبوء مقام الخلافة لهذا المهدي أمير المؤمنين
عبد الحميد الثاني (أعزه الله تعالى وأيده) عناية عظيمة في إحياء
منصب الخلافة الاسمي والقيام بشؤونها بقدر الاستطاعة رأينا من
واجب النصيحة للامام التي ورد بها الحديث الصحيح الذي أوردناه
في مقالة « الإصلاح » السابقة أن نبين ما نعلم أنه من مقومات الإصلاح
الديني ، كما بينا رأينا في مقومات الإصلاح السياسي المدني ، على أن
الإصلاحين متلازمان في الأمة الإسلامية لا يقوم أحدهما حق القيام
إلا بالآخر والشريعة الإسلامية هادية للإصلاحين إذ كل خير وصالح
للعباد، يتعلق بالمعاش والمعاد، قد قرره الإسلام واعتده من مقاصده. وقد
عرف علماء المسلمين الدين بأنه وضع الله سائق لدوي العقول باختيارهم
إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل. ولهذا قلنا في العدد الماضي إن
مرادنا بالإصلاح الديني « ما يؤدي إلى المحافظة على الدين والمصل به
وجمع كلمة المسلمين » ولا يحصل هذا بعارة المساجد والتكايا ولا بالانعام
على بعض الشيوخ أو أهل الحجاز بالرتب والرواتب والوسامات بل لا بد
في ذلك من أعمال تناط بالحكام وأعمال تطالب من العلماء وأصحاب
الوظائف الدينية كالإمامة والخطباء والمدرسين وأعمال تتعلق بمجموع الأمة
وأعمال تختص بالبلاد الحجازية وإنا نتكلم على ما يسنح لنا في ذلك
بوجيز من القول مستمدين التوفيق للتي هي أقوم ممن علم بالقلم علم
الإنسان ما لم يعلم

أهم ما جاء به الإسلام هو التوحيد في العقائد الدينية والتعاليم الأدبية
والاحكام القضائية والمدنية فأهم أركان الإصلاح الإسلامي جمع المسلمين

على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة وقانون شرعي واحد لا يحكم عليهم غير في أي نوع من أنواع الاحكام ولغة واحدة . وتتوقف هذا الاصلاح على تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب في كل قطر اسلامي وتكون عظمى شعبها في مكة المكرمة التي يؤمها المسلمون من جميع أقطار الارض ويتآخون في موافقها ومماهدا المقدسة ويكون أهم اجتماعات هذه الشعبة في موسم الحج الشريف حيث لا بد ان يوجد أعضاء من بقية الشعب التي في سائر الاقطار يأتون الحج فيحملون الى شعبيهم من المجتمع العام ما يستقر عليه الرأي من التعاليم السرية والجمهورية . وهذا أحد مرجحات وجود الجمعية الكبرى في مكة المكرمة على وجودها في دار الخلافة وثم مرجحات أخرى من أهمها البعد عن دسائس الاجانب ووساوسهم والأمن من وقوفهم على ما لا ينبغي وقوفهم عليه في جلته أو تفصيله (ومنها) أن لشرف المكان وحالة قاصديه الدينية أثر عظيم في الاخلاص والتزهد عن الهوى والعرض فضلا عن النفس والحياة وينبغي أن يكون للجمعية الكبرى جريدة علمية دينية تطبع في مكة أيضا وأية شعبة استطاعت انشاء جريدة تنشئها

ولنذكر كل توحيد من التواحيد التي يجب في الاصلاح جمع الامة كلها عليها وما يكون من عمل الجمعية فيياتم نذكر أهم ما يناط بالجمعية وشعبها من الاحمال وهو تلا في البدع والتعاليم الفاسدة التي تحدث قبل انتشارها واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين وأهم نتائجها وهو ارتباط الحكومات الاسلامية واتحادها فنقول

(الاول والثاني توحيد العقائد وتوحيد الآداب) تأليف الجمعية كتابا

فما أجمع عليه المسلمون بجميع فرقهم التي يتعد إسلامها من أصول الدين الثلاثة : صحة الاعتقاد وتهذيب الاخلاق واحسان الاعمال - لا يذكر فيه شيء من مسائل الخلاف لاسيما بين الطوائف الاسلامية التي لها امارة وفيها كثرة كالشيعة بل ينحى فيه منحنى « رسالة التوحيد » ، التي أنقها حديثا أحد علماء الازهر الشريف ، ولا يتعرض فيه أيضا لمباحث الفلسفة التي مزج الاولون بها علم الكلام ، ويكون الكتاب بعبارة في غاية السهولة وترجم لجميع اللغات المتداولة ويمتن من مقام الخلافة بأن هذا هو الاسلام وجميع الآخذين به اخوة في الدين يجب على كل منهم ان يقصد مجموع الامة جسما واحدا هو عضو فيه كسائر الاعضاء وانه لا قوام له ولا حياة ولا شرف الا بسلامة المجموع من كل ما يعرض على الحياة من العطل او عس الشرف ولا يمنع من هذا الاختلاف في المسائل الفرعية والتي ليست من أسس الدين وأركانها كالمفاضلة بين الصحابة « عليهم الرضوان » في الخلافة وغيرها كما لا يمنع الانسان من تكريم أعضائه تلونها بلون غريب عن لون القطرة أو كما لا يمنعه من محبة اخوته وأبنائه دمامة أو مرض يعرض لبعضهم ، بل ينبغي أن تكون العناية بأمر المنعرف أشد ، والامطاف عليه أقوى

(الثالث توحيد الاحكام) لا يمكن أن تنال الامة حظها من السعادة المدنية الا بخضوعها ظاهرا وباطنا للقوانين التفاضية والمدنية التي تسير عليها حكماها ولا يمكن ان يخضع مسلم لقانون وضعه البشر الا كرها واجبارا ومن يراعي منهم القانون ويخضع له في الظاهر كرها يعصيه في السر اذا أمن العقوبة كأن علم انه لا يمكن اثبات عصيانه ومخالفته أو انه يتسنى له

ارضاء الحاكم بالشفاعة أو الرشوة وما اضطر الحكومة العثمانية والمصرية الى العمل بالقوانين الاوربية الا عدم وجود كتب شرعية اسلامية تنطبق على حالة مصر وعجز الحكام عن أخذ ذلك من الشريعة لجهلهم بها وغفلة الطمأنينة عن حالة مصر وما تقتضيه والتقيد بذهب واحد. فاذا أمر الخليفة الجمعية بتأليف كتب تؤخذ من جميع المذاهب الاسلامية تنطبق على حالة مصر لاجل الحكم بها فقلت وهو أيسر شيء عليها، ولا يتوقف هذا على التفتيش الذي يمنعه الجمهور لانه مفروض في مسألة واحدة، واذا صادقت على هذه الكتب شعب الجمعية كلها صار متعينا للاتفاق عليه من علماء الملة على اختلاف مذاهبهم ثم اذا أمر الخليفة بالعمل به تدعى له النفوس وتخضع سرا وجهراً. ولا يخرج في ذهن عاقل ان ذلك يسوء أصحاب الملل الاخرى في الدولة ويتولد منه نفورهم منها لان العنصر الكثير في الدولة منهم هو عنصر النصارى ولا يمكن نفور هؤلاء من قوانين الشريعة الاسلامية بحجة الدين لان دينهم يأمرهم بالخضوع لاي سلطان يحكمهم وأية شريعة يحكمون بها ولا بحجة المصلحة والمنفعة لان مصالحهم ومنافعهم تحفظ بشريعة يدعون لها مشاركون في تلك المصالح وأعمالها ومجاورهم في وطنهم سواء فيها حاكمهم ومحكومهم مالا تحفظ بشريعة يعتقد الحاكم والمحكوم أن العمل بها خير واجب بل تمدى حدودها لاقدم لا يمنع منه الا الأمن من العقوبة لاسيما وهم يعلمون ان الشريعة الاسلامية تأمر بالعدل والمساواة بين المسلم وغير المسلم في الحقوق وتعرض على المسلم من الواجبات مالا تفرض على غيره. وكاتب هذه السطور يعلم من مذاكرة نهاء النصارى وعقلاهم أنهم يطمنون لو تكون الاحكام شرعية اسلامية ولا يتقنون مما يعلمونه من

أحكام الفقه الاسلامي الامسائل قابلة ليست من مسائل الاجماع ووهيات الدين في السالب

وفي توحيد الاحكام الشرعية على ما ذكرنا ارضاء لجميع مذاهب المسلمين في الفروع وقطع لعرق التعصب الذي أضربهم في الايام الخالية وغير ذلك من الفوائد التي لا محل في هذه المقالة لشرحها . وبوشك ان نحكم الدول الاجنبية مستعمراتها الاسلامية بهذا القانون ارضاء لاهلها واستمالة لهم واطمئنانا بخضوعهم للاحكام سرآ وجهرآ . ولا حاجة هنا لبيان كيفية التأليف من الضبط والسهولة والترتيب وان لنا في مجلة الاحكام المدلية خير مثال . ولا دليل على أن جميع الحكومات الاسلامية تأخذ بهذا القانون حالاً ولكن لا مندوحة لهم عن الاخذ به ما لا

(الرابع توحيد اللغة) كل من كان قصير النظر لا يتجاوز شعاع بصره ما بين يديه - وكل من كان جاهلاً بأحوال الامم الحية وسميها في نشر لغاتها في جميع الاقطار - وكل من ضعف عقله ودينه فوقع في هوة اليأس من حياة الاممة ونجاح عمل كبير على يدها - وكل من تمكن منه الطيش والمجلة وقلة الاحتمال فصار يطلب الناية في البداية - كل هؤلاء الاصناف يمتقدون ان محاولة جمع الاممة الاسلامية أو شعوب الدولة العثمانية على لغة واحدة غرور وجهل لانها محاولة محال ، وطلب ما لا ينال، ولكن لا يوجد ذو مسكة من العتل يرتاب في ان نجاح الاممة التام وارتقاءها الكامل يتوقف على وحدة لغتها فاللغة هي مناط الجنسية ومعقد الارتباط عند الامم المرتقية وما دامت الدولة مختلفة الاجناس فهي على خطر من

حياتها السعيدة وبين يدينا من الشواهد، ما يقطع لسان كل معاند،
هذه دولة أوستريا - النمسا والمجر - تتمدن الدول القوية المتمدنة في أوروبا
ومع ذلك قد رماها اختلاف الاجناس بالفتن التي يخشى ان تؤدي الى
تمزيقها بتفريقها وتؤدي بمظمتها التي يمسكها الامبراطور الحالي أن تزول
لله من المكانة والمحبة في نفوس الجميع

العمل الاول في توحيد اللغة انما يكون من الخليفة صاحب السلطان وعمل
الجمعية فيه كعملها في نشر الدين والدعوة اليه كما يأتي. والحكومة العثمانية تجهد في
تعميم لغتها التركية العذبة في بلادها ولا يتنى لها ذلك أبدا. وترجع اللغة العربية
على التركية في وجوب تميمها بأمر (منها) كونها لغة الدين فأحيائها احياء
له وتعميمها وسيلة لتعميمه وفهمه (ومنها) امكان نشرها بسهولة لان التركي
يدعوه الى تعلمها كونها لغة دينه أما العربي الذي لا طمع له في مناصب
الدولة فلا توجه نفسه الى تعلم التركية وهذه الدولة العلية لم تصدر في
بضعة قرون أن تستبدل لغتها بالعربية في قطر من الاقطار ولو سارت
على ما كان يرغب السلطان سليم ياوز « رحمه الله تعالى » من جعل العربية
لسان الدولة الرسمي وتعميمه لكان معظم الاتراك اليوم ينطقون بالضاد
(ومنها) نحو الامتياز الجنسي بين الترك والعرب فقد أضر هذا الامتياز
بالدولة ضررا مينا ولا تزال اخطاره تهددها. ثم ان الرابطة الاسلامية
بين المنصرين كافية للاتحاد والاعتصام ولكن أين التربية الاسلامية
التي تنفخ هذا الروح في المنصرين كما يحب ورضى ؟. ولا يجهل من
وقف على دسائس المفسدين أن أنفذ عوامهم في التفريق بين هذين
المنصرين هو اختلاف اللغة. فان كان كمال بك الكاتب العثماني الشهير

(عليه الرحمة) قال ان الجامعة بين الترك والمرب مؤبدة بأخوة الاسلام ورابطة بالخلافة فان كان أحد بقدر على تفريقها فهو الله وان كان أحد يفكر في ذلك فهو ابليس « فنقد قال ما قال ولم يكن السعي في التفريق قد وقع فعلا . أما الآن فقد ظهر من أعداء الدولة أبالسة تسعى لهذا الفعل القبيح بما تستطيع وفتنة اليمن لا تخلو من آثار هؤلاء الأبالسة الأشرار (ومنها) أي (المرجحات) كون الناطقين بالعربية في الدولة أكثر عدداً مما بالكسبهم في الأمة كلها (ومنها) كون علماء المسلمين في جميع أقطار الأرض يعرفونها (ومنها) أن سعي أمير المؤمنين في نشر لغة الدين وتعميمها يجمع قلوب المسلمين في جميع المسكونة على محبته والتمسك بولائه دولته { لها بقية }

(ليلة المآر)

احتفل المسلمون في ليلة الأحد الماضية بتلاوة قصة المآر الشريف وهذا الاحتفال من المواسم الحادثة في الأمة لم يكن على عهد السلف الصالح . وقد ألف في هذا الموضوع قصص كثيرة منها ما تحرى أصحابه الروايات المنقولة من صحيح وحسن وضعف ومنها ما جيء فيه بما لا يصح من منكر القول وموضوعه ومزج الروايات الواهية بالصحيحة مزجاً لا يتميز فيه الصحيح من الفاسد والذين يقرءون هذه القصص منهم العلماء الذين يشرحون القصة للناس ببيان يقرب من عقولهم وتتناوله أقرانهم من غير أن يجول خيول خيالهم في معاني من تنزه عن صور الخيال ، وتسري قنأذ أوهاهم إلى حضرة من تعالى عن خطرات الأوهام ، ومنهم الجهال الذين يشنون